الفصل الثاني
الدراسة التطبيقيَّة

القضية الأولى : الإبدال
القضية الثانية : إعراب المثنى
القضية الثالثة : واو الجمع
القضية الرابعة : ما التميميَّة

القضية الأولى
الإبدال

من خلال جانبين من جوانب الدراسة يمكن أن تتضح مفردات هذه القضية وهما:

(أ) الدرس النظري

من أهم القضايا اللغوية التي عرض لها علماء العربية قديماً وحديثاً قضية الإبدال، حيث برزت إلى الساحة اللغوية عدة جهود في تلك القضية أثمرت عن هذا التعريف الجامع لها، وهي أن الإبدال عبارة عن: "جعل حرف بدل حرف آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها لعلاقة بين الحرفين أو حركةٍ مكان أخرى، أو هو تغيير صوت إلى آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها لعلاقة بين الصوتين بتأثير البيئة اللغوية المحيطة[1]".

ومن هنا فالإبدال تمثيل لصورة واقعية للتناوب بين حروف وحركات العربية "فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت آخر ساكن معه في مخرجه أو قريب منه[2]" .

وبعد أن صال القدامى والمحدثون وجالوا في محاولة تعليل نشأة تلك القضية، وتعددت آراؤهم بين مذاهب ثلاثة تنحصر في الخلاف اللهجي، ثم كثرة التصرف والاستعمال، ثم التطور الصوتي[3]، أرى أن اختلاف اللهجات العربية هو الضابط الرئيس في نشأة تلك القضية كما يقول أبو الطيب اللغوي: "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنَّما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى

---

(1) قضايا ونظرات في فقه اللغة العربية د . إبراهيم محمد أبو سكين صـ 50 – الطبعة الثانية – 1996 /1997م.وينظر: مقدمة كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي.تصدير المحقق، عز الدين التنوخي صـ 9 – دمشق 1379 هـ – 1960م، واللهجات العربية د . إبراهيم محمد نجا صـ 71 – مطبعة السعادة – 1396 هـ – 1976م، والاشتقاق، عبد الله أمين صـ 333 – مكتبة الخانجي بالقاهرة– الطبعة الثانية 1420 هـ – 2000م ، والتطور اللغوي التاريخي. د . إبراهيم السامرائي صـ 110– دار الأندلس– الطبعة الثالثة 1983م، واللهجات العربية نشأة وتطوراً. د . عبد الغفار حامد هلال صـ 120– مكتبة وهبة–الطبعة الثانية1414هـ – 1993م .

(2) فقه اللغة . د . على عبد الواحد وافي صـ 141 – دار نهضة مصر .

(3) ينظر هذه القضية بالتفصيل في كتاب : الإبدال اللغوي بين الصوامت في القراءات القرآنية للمؤلِّف صـ 5: 16 – الطبعة الأولى 1425هـ – 2004م .

لا يختلفا إلا في حرف واحد، قال: والدليل على ذلك أنَّ قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزة وطورًا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة، وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا، والهمزة المصدرة عيناً؛ كقولهم في أن عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون[1]" .

وأيَّده في ذلك كثير من المحدثين ، حيث يقول الدكتور/ على عبد الواحد وافي: "ويرجع السبب في كثيرٍ من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة ، فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قريش بالكاف ، على حين أنَّ أسدًا وتميمًا كانت تنطقانها بالقاف[2]".

والمتفق عليه بين القدامى والمحدثين أنَّ صورة التناوب بين أصوات العربية لا بد أن تتم على أساس من التقارب الصوتي سواء أكان هذا التقارب عن طريق المخارج أم الصفات، حيث يقول ابن جني: "أصل القلب في الحروف إنَّما هو فيما تقارب منها، وذلك الدال والطاء والتاءر؛ والذال والظاء والثاءر، والهاء والهمزةر، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه[3]".

ومن هنا كما يقول الدكتور/ عبد الصبور شاهين: "لا يكون الإبدال إبدالاً حقاً إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرجر، أو الاشتراك في بعض الصفات كالجهر والهمس والشِّدَّة والرَّخاوة[4]".

([1])المزهر في علوم اللغة للسيوطي، تحقيق، محمد جاد المولى وزميليه 460/1 – دار التراث – الطبعة الثالثة د.ت.

([2]) فقه اللغة صـ 185 .

([3]) سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق . مصطفى السقا وآخرين 1 / 197 – مطبعة الحلبي الطبعة الأولى – 1374هـ – 1954م. وينظر: السابق 1 / 171، 172 .

([4]) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د . عبد الصبور شاهين صـ 73، وينظر: من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس صـ 75 – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة 1978 م ، وفقه اللغة . د . على عبد الواحد وافي صـ 184، 185 .

(ب) الدرس التطبيقي

ظهر الإبدال بصورة تطبيقيَّة في "إعراب القراءات الشواذ للعكبري"من خلال عدَّة صور عرض المؤلِّف فيها للإبدال بين الأصوات العربية بشقيها معاً – الصوامت والصوائت –، والدراسة التالية توضح ذلك .

أولا ـ الإبدال بين الصوامت

تبادلت بعض الصوامت العربية الأدوار في بعض القراءات القرآنية كصورة تطبيقيَّة لهذه القضية في الكتاب موضوع الكتاب، وتلك الصوامت هي:

(1) التاء والهاء في (التابوت)

النص :

"قوله تعالى : ﴿ ٱلتَّابُوت﴾ [1]، يقرأ بالهاء وهي لغة الأنصار[2]".

التعليق :

إذا كان النص السابق يحمل بضع كلمات إلا أنَّ تلك الكلمات تحمل بين طياتها مادة واسعة للدراسة يمكن عرضها عن طريق تقسيمها إلى ثلاث مسائل:

المسألة الأولى : **القراءة**

عرضت كتب القراءات والتفسير للقراءة بالهاء في لفظة ﴿ ٱلتَّابُوت ﴾ منسوبة إلى الصحابين الجليلين – زيد بن ثابت، وأُبَيٍّ بن كعب – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا– [3] .

---

(1) ﴿ ... أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ سورة البقرة من الآية(248) .

(2) إعراب القراءات الشواذ للعكبري 2 / 261 .

(3) ينظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه. نشرْه ج . برجشتراسر صـ 22 – طبعة مكتبة المتنبي – القاهرة ، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي 6 / 493 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى – 1401هـ - 1981م، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 2 / 581 – دار الفكر – 1412هـ - 1992م، والدر المصون في علوم الكتاب المبين للسمين الحلبي. تحقيق . على محمد معوض وآخرين 1 / 603 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م . وقد ذكرت بعض الكتب تلك القراءات غير منسوبة. ينظر: المحتسب 1 / 129، والكشاف للزمخشري 1 / 380 – دار الكتاب العربي، والجامع لأحكام القرآن الكريم(تفسير القرطبي) 3 / 248 – دار الغد العربي – الطبعة الأولى 1410هـ – 1990م، وإملاء مَا مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري، تحقيق. د . إبراهيم عطوة عوض 1 / 61 – دار الحديث 1412هـ - 1992م، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي . حققه . على عبد الباري عطية 2 / 168 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

المسألة الثانية : العلاقة الصوتية

تبدو صورة التبادل بين صوتي التاء والهاء في أول الأمر غريبة بعض الشيء، ولكن بشيء من التروِّي والدقة تتضح الحقيقة .

فمن الناحية المخرجية: يبدو التباعد جليًّا بينهما ، حيث إنَّ صوت التاء "يخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[1]" .

وقد ذكر المحدثون كيفية إحداث هذا الصوت بأن "يندفع هواء صوت التاء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فتنبسط فتحة المزمار ويبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما ، ويتسع الممر الصوتي ، ثم يمر بالحلق، فاللسان أقصاه وسطه إلى أن يصل إلى طرفه ، فيتصل طرفه بأصول الثنايا العليا اتصالا محكماً لحظة، ثم ينفصل العضوان فيندفع الهواء خارج الفم محدثًا دويّاً[2]" .

وأما صوت الهاء: فمخرجه من أسفل الحلق وأقصاه كما يرى القدامى[3]، ومن الحنجرة كما يرى المحدثون .

وكيفية إحداث هذا الصوت كما يرى المحدثون أن "يصعد هواء صوت الهاء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة، فتنبسط فتحة المزمار، ويتسع الممر الصوتي، ويبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما فلا يهتزان، فالحلق أدناه فوسطه حتى إذا وصل إلى أقصى الحلق ضاق الممر الصوتي وتسرب هواء الصوت محتكًّا بجدار الممر الصوتي فيتكون صوت الهاء[4]" .

([1]) كتاب سيبويه، تحقيق. عبد السلام محمد هارون 4/ 433 - دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م. وينظر: المقتضب للمبرد تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة 1 / 329 – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – 1385هـ ، وسر صناعة الإعراب 1 / 53 .

([2]) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د . إبراهيم محمد أبو سكين صـ 88 – الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000م، وينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د . محمود السعران صـ 154، 155 – دار الفكر العربي – 1412هـ - 1992م، والأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس صـ 61 – دار الأنجلو المصرية – الطبعة الخامسة 1979م ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني "الأصوات") د . كمال محمد بشر صـ 101 – دار المعارف بمصر – 1969م , والفكر الصوتي في التراث العربي. دراسة في ضوء علم اللغة الحديث د . محمد عزت القناوي صـ 222 – دار الكتب 1989م .

([3]) ينظر : الكتاب 4 / 433 ، والمقتضب 1 / 328، وسر صناعة الإعراب 1 / 52 .

([4]) علم الصوتيات، د . إبراهيم محمد أبو سكين صـ 122،123 ، وينظر: علم اللغة . د . محمود السعران صـ 178، 179، والأصوات اللغوية، د . إبراهيم أنيس صـ 88، 89، والفكر الصوتي في التراث العربي، د . محمد عزت القناوي صـ 231 , 232 .

وإضافة إلى هذا التباعد المخرجي بينهما كما رأينا، فإنَّ صورة هذا التباعد تزداد أيضاً بمعرفة أنَّ صوت التاء من الأصوات الشديدة، وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيها، أو التي يكون الاتصال فيها بين عضوي النطق قويًّا محكماً لا يتسرب معه الهواء، في حين أنَّ صوت الهاء من الأصوات الرخوة، وهي الأصوات التي يجري فيها الصوت، أو هي الأصوات التي يضيق فيها الهواء ؛ بحيث يستمر الهواء في الخروج دون توقف[1] .

ولكن بالرغم من هذا التباعد المخرجي، وكذلك التباعد في بعض الصفات الصوتية إلا أنَّ هذين الصوتين قد اشتركا في كثير من الصفات الصوتية وهي: الهمس والانفتاح والاستفال والترقيق، مما كان لهذا الاشتراك أثره الواضح في جواز وقوع الإبدال بينهما .

وقد أكَّد ابن جنِّي على حقيقة هذا التبادل في لفظة ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ بقوله: "إن الهاء في (التابوه) بدل من التاء في (التابوت)، وجاز ذلك لما أذكره: وهو أنَّ كل واحد من التاء والهاء حرف مهموس ، ومن حروف الزيادة في غير هذا الموضع[2]" .

وزاد ابن جنِّي الأمر تأكيدًا على حدوث التبادل بين هذين الصوتين بقوله: "وأيضاً فقد أبدلوا الهاء من التاء التي للتأنيث في الوقف ، فقالوا: (حمزهْ، وطلحهْ، وقائمهْ، وجالسهْ). وذلك منقاد مطرد في التاء عند الوقف[3]" .

المسألة الثالثة : لغة الأنصار

ذكر المؤلِّف أنَّ إبدال التاء هاء في لفظة (التابوت) لغة الأنصار، ولم يزد على ذلك، في حين أكَّدت المصادر العربية الأخرى أنَّ هذا الإبدال لغة لقبيلة عقيل وطيىء إضافة إلى أنَّها لغة الأنصار، والنصوص الثلاثة الآتية تؤكد تلك النسبة :

---

(1) ينظر: الكتاب 4 / 434، وسر صناعة الإعراب 1 / 69، والرعاية . مكي بن أبي طالب. تحقيق . د . أحمد حسن صـ 93، 94 دار الكتب العربية 1393هـ - 1973م، وشرح المفصل لابن يعيش 10 / 129 – عالم الكتب - بيروت ، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب . حققه. محمد نور الحسن وآخرون 3 / 260 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- 1402هـ - 1982م ، وعلم اللغة د. محمود السعران صـ 152، 153، ومناهج الكتاب في اللغة د . تمام حسان صـ 131 - طبعة دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب - 1400هـ - 1979م ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني "الأصوات") د. كمال محمد بشر صـ 98 ، وعلم الصوتيات د . عبد الله ربيع، ود عبد العزيز علام صـ 235 , 236 – المكتبة التوفيقية .

(2) المحتسب 129/1. وينظر: الكشاف 380/1، والبحر المحيط 579/2، وروح المعاني 2 / 168. وإن كان الألوسي يرى كما يقول: "وأما جعل الهاء بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس، وأنهما من حروف الزيادة فضعيف ؛ لأنَّ الإبدال في غير تاء التأنيث ليس بثبت. "روح المعاني 2 / 168 . وينظر : في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس صـ 137 – مطبعة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة – 1984م .

(3) المحتسب 1 / 129 , 130.

(أ) لغة الأنصار

يقول القاسم بن معن: "لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في (التابوت) ، فلغة قريش بالتاء، ولغة الأنصار بالهاء[1]" .

(ب) لغة عقيل

يقول ابن جني: "إنَّ عامة عُقَيل فيما لا نزال نتلقاه من أفواهها تقول في الفرات: الفراه بالهاء في الوصل والوقف، وزاد في الأنس بذلك أنك ترى التاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاه، وحصاه، وقطاه، فلما وقف وقد أشبه الآخِر الآخر أبدل التاء هاء، ثم جرى على ذلك في الوصل[2] ".

(ج) لغة طيئ

يقول ابن يعيش: "وحكى قطرب عن طيئ أنهم يقولون: كيف البنون والبناه، وكيف الأخوة والأخواه، فأبدلوا من تاء الجمع هاء في الوقف كما يبدلون من تاء التأنيث الخالصة، وذلك شاذ، وقد قالوا التابوه في (التابوت) وهي لغة[3] ..." .

(2) الحاء والعين في (حتى)

النص :

"قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[4]، يقرأ بالعين (عَتَّى) ، وهي لغة هذيل ، ولم يذكروها إلا في هذا الحرف[5]" .

التعليق :

حمل النص السابق أربعة محاور رئيسية بصورة إجمالية ، وتفصيل القول فيها على النحو التالي :

---

(1) الصحاح (ت و ب) 92/1. وينظر: مختصر في شواذ القرآن صـ 22، ومفاتيح الغيب 6 / 493، وشرح المفصل 10 / 45 ، ولسان العرب لابن منظور الإفريقي. تحقيق. عبد الله على الكبير وآخرين (ت و ب) 254/1- ار المعارف ، والمزهر 1 / 73 ، وروح المعاني 2 / 168 .

(2) المحتسب 1 / 130 .

(3) شرح المفصل 10 / 45 .

(4) ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ سورة يوسف من الآية (35).

(5) إعراب القراءات الشواذ 1 / 704 .

(أ) القراءة

نصَّت المصادر العربية التي تعني ببيان القراءات القرآنية أنَّ القراءة بإبدال الحاء عيناً في لفظة (حتى) تنسب إلى الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – [1].

(ب) العلاقة الصوتية

تبدو العلاقة الصوتية واضحة المعالم بين صوتي الحاء والعين من الناحية المخرجية ، فوسط الحلق هو الموضع الجامع للتكوين المخرجي فيهما[2].

فعند النطق بصوت الحاء يصعد الهواء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة فتنبسط فتحة المزمار ويتسع الممر الصوتي ، ويبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما فلا يهتزان فأقصى الحلق حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق الممر الصوتي وتسرب الهواء تسربًا ضعيفًا مكونًا صوت الحاء .

وعند النطق بصوت العين يصعد الهواء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فتنقبض فتحة المزمار ويضيق مجرى الهواء ويقترب الوتران الصوتيان من بعضهما فيهتزان فأقصى الحلق حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق الممر الصوتي وتسرب الهواء تسربًا ضعيفًا مكونًا صوت العين[3].

وإضافة إلى هذا التشابه المخرجي ، فإنَّ هناك الكثير من الصفات الصوتية الجامعة بينهما أيضاً، وهي: الاستفال والانفتاح والترقيق والإصمات[4]، وهذا ما جعل التناوب بينهما يبدو بصورة مقبولة .

(ج) لغة هذيل

ذكر المؤلِّف أن إبدال الحاء عينًا في لفظة (حَتَّى) لغة هُذَليَّة فقط مؤيِّداً بذلك غالب آراء

---

(1) ينظر: مختصر في شواذ القرآن صـ 68، والمحتسب 343/1، والكشاف 468/2، والبحر المحيط 274/6، والدر المصون 4 / 182 .

(2) ينظر : الكتاب 4 / 433، وسر صناعة الإعراب 1 / 52 .

(3) علم الصوتيات . د. إبراهيم محمد أبو سكين صـ 120، 121. وينظر: الأصوات اللغوية . د . إبراهيم أنيس صـ 88 ، وعلم اللغة . د . محمود السعران صـ 178، وعلم اللغة العام (القسم الثاني "الأصوات") د . كمال محمد بشر صـ 303، 304 .

(4) وينحصر وجه الخلاف بينهما في أنَّ صوت الحاء يتصف بالهمس والرخاوة في حين يتصف صوت العين بالجهر والتوسط . ينظر: الكتاب 433/4، والرعاية صـ 136، 138، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري 1 / 202، 203 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، وعلم الأصوات . تأليف . برتيل مالمبرج . تعريب . د . عبد الصبور شاهين صـ 126 – مكتبة الشباب 1984م .

علماء العربية[1]، في حين ذكر بعض العلماء أنَّها لغة ثقيف إضافة إلى أنَّها لغة هذيل ، حيث يقول: "وعَتَّى بمعنى حَتَّى: هُذَليَّة وثقفية .... كل العرب يقولون حتى إلا هذيلا وثقيفاً فإنهم يقولون عَتَّى[2]" .

ولا غضاضة في النسبة إليهما معاً؛ لأنَّ: "هُذَيلا وثقيفًا متجاوران في الموطن والمنازل ... فليس ببعيد أن يكون ذلك لغة لهما معاً، أو على الأقل لثقيف مع جيرانها من البطون الهذلية المصاقبة لها ، ولا يغض من ذلك شيء سوى أن ثقيفًا قبيلة حضرية مقرها الطائف، أما هذيل فقبيلة بدوية – أو فيها بداوة – فهذه الظاهرة ربَّما كانت أشبه بها من سواها ... ولعل السر في إبدال هذيل، أو بعض بطونها للحاء عيناً هو أنَّ العين صوت مجهور، والحاء صوت مهموس، والمجهور قد يناسب بيئة فيها بداوة كهذيل أكثرها مما يلائمها الصوت المهموس، ثم إنَّ في الحاء رخاوة، وفي العين شيء من الشِّدَّة إذ هي ليست بالرخوة ولا بالشديدة، وإنما هي شيء بين الأمرين، أو كما يقول القدماء متوسطة بين الشَّدَّة والرَّخاوة؛ ولهذا أمكن أن تحل محل الحاء لاتحاد مخرجيهما تقريباً، مع ملاءمتها لقبيلة مثل هذيل[3] " .

وإن ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ: قبيلة هذيل أقرب ما تكون إلى الطبيعة الحضرية لشدَّة الاتصال بينها وبين البيئة الحجازية، فكيف تميل إلى قلب صوت مهموس وهو الحاء إلى نظيره المجهور وهو العين، وهو خلاف ما تشهد به الطبيعة الحضرية فينفي نسبة هذه الظاهرة لها، ولكن الواقع أنَّ قبيلة هذيل كانت تمثِّل "حلقة وسطى ... بين الحضريين من الحجازيين، وبين الموغلين في البداوة من غيرهم ، فهي وإن كانت تجاور الحضر في الحجاز، وتتأثَّر بهم وقد تؤثِّر فيهم ، فإنَّها من جهة أخرى تجاور غيرهم من قبائل وسط الجزيرة ؛ لهذا فهي أيضًا تؤثِّر فيهم وتتأثَّر بهم كما يقضي بذلك الناموس الاجتماعي؛ فلا نستبعد بعد هذا أن نجد هذيلا تستبدل في كلامها حرفاً مجهوراً بآخر مهموس وهما متفقان في مخرجهما اتفاقاً يجعل بينهما من التقارب في النطق ما يؤكِّد هذا الاحتمال[4]" .

---

(1) ينظر : الكشاف 2 / 319 ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك . حققه . محمد كامل بركات صـ 146 – دار الكتاب العربي بالقاهرة – 1388هـ - 1968م ، والمزهر 1 / 222 .

(2) لسان العرب (ع ت ي) 4 / 2804 . وينظر: الصحاح (ع ت ي) 6 / 2418 .

(3) من لغات العرب لغة هذيل د . عبد الجواد الطيب صـ 110، 111 – د . ت .

(4) السابق صـ 112، 113.

فالحقيقة أنَّ القبائل العربية وحدة واحدة متماسكة الأجزاء، متحدة في كثير من الملامح والسمات لا يمكن أن تنفصل عراها ، تتأثَّر كل قبيلة منها بلغة غيرها ويتأثَّر غيرها بها كما يقول ابن جنِّي: "لأنَّ العرب وإن كانوا كثيرًا منتشرين وخَلْقًا عظيمًا في أرض الله تعالى غير متحجرين، ولا متضاغطين، فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته كما يراعي ذلك من مهم أمره فهذا هذا[1]".

فاللهجات العربية لا تعترف بالحدود الفاصلة بينها وبين شقيقاتها من اللهجات الأخرى "ولا مانع من تأثر بعض قبائل المدن بما انتشر عند إخوانهم العرب في البوادي فهم على صلة بهم يلاقونهم ويتعاملون معهم[2]" .

"وعلى أيَّة حال فإنَّ اللغة لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف[3] " .

(د) الظاهرة اللهجية

ذكر أهل اللغة أنَّ إبدال الحاء عيناً ظاهرة لهجية عرفت عند العرب قديماً بظاهرة (الفحفحة) اقتصر بعض العلماء في تفسيرها على لفظة (حتى) فقط[4] محتجين ببعض الأدلة منها :

أ- **يقول أبو عبيدة:** "قوم يحولون حاء حتى ، فيجعلونها عيناً كقولك: قم عتي آتيك[5]".

ب- **يقول أبو الطيب اللغوي :** "ويقال : اصبر حَتّى آتيك ، وعتى آتيك[6]" .

ج- **قال أبو زيد:** "سمعت العرب تقول: جلست عنده عتَّى الليل، يريدون: حتَّى الليل فيقلبون الحاء عيناً [7]" .

د- **ذكر أبو حيَّان أنَّ:** "حتَّى حرف معناه الكثير فيه الغاية، وتكون للتعليل، وإبدال حائها عيناً لغة هذيل[8]" .

---

(1) الخصائص لابن جني. تحقيق. محمد على النجار 2 / 17، 18 – الهيئة المصرية العامة للكتاب- الطبعة الثالثة – 1407هـ - 1987م .

(2) اللهجات العربية نشأة وتطوراً . د . عبد الغفار حامد هلال صـ 294 .

(3) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د . عبده الراجحي صـ 117 .

(4)ينظر: اللهجات العربية د. إبراهيم نجا صـ 82 –مطبعة السعادة 1396هـ- 1976م، ولغة هذيل صـ110.

(5)الإبدال لابن السكيت. تحقيق د. حسين محمد شرف صـ 23 طبعة مجمع اللغة العربية 1398هـ - 1978م.

(6) الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 / 295 .

(7) لسان العرب (ح ت ى) 1 / 773 .

(8) البحر المحيط 330/1. عند قوله تعالى: ﴿ ... حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ... ﴾ سورة البقرة من الآية(55).

ولكن هذه الأدلة لا تنهض أن تكون دليلا واضحاً على أنَّ هذه الظاهرة خاصَّة بلفظة (حتَّى) فقط، فالواضح أنها ظاهرة عامَّة، حيث يقول السيوطي عند حديثه عن النوع الحادي عشر وهو معرفة الرديء المذموم من اللغات: "ومن ذلك: الفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاء عيناً[1]" .

وقد وردت بعض النصوص التي روتها كتب اللغة تنصُّ على أنَّ صورة الإبدال بينهما تأتي في غير لفظة (حتى)، حيث يقول ابن السكيت: "يقال ضَبَحت الإبل، وضبعت سواء [2]، ويقال: إنَّه لعَفَضاج وحَفْضاج: إذا انْفَتَقَ وكَثُر لَحْمُهُ ... ويقال: كتابُروا متاعَهُم وبعْثَروه: أي فَرَّقُوه ، يقال للمرأة: إذا كانت تَبْذُؤ وتجيء بالكلام القبيح والفُحْش: هي تُحَنْظى، وتُعَنْظى ... وقد عَنْظى الرجل وحَنْظى بمعنى ... ويقال: نزل بحَراه وعراه: أي قريباً منه[3].

ثانيًا ـ الإبدال بين الصوائت

عرض كتاب "إعراب القراءات الشواذ" لصورتين من صور الإبدال بين الصوائت وهما:

الصورة الأولى: الإبدال بين الفتح والكسر

ظهر التبادل بين الفتح والكسر في الكتاب موضوع الكتاب بصورة تطبيقية في الأفعال والأسماء على النحو التالي:-

(1) الأفعال

ضم الكتاب بين دفتيه ستة أفعال تناوب فيها الفتح مع الكسر، وهي :

أ. (تَعْثَوْاْ)

النص: "قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ ﴾[4]، المشهور بفتح التاء والثاء، وماضيه عثى يعثي مثل رَضِيَ يَرْضَى، ويقرأ كذلك إلا أنَّه بكسر الثاء، وهي لغة كنانة يكسرون حرف المضارعة[5]".

ب. (تَنِيَا)

النص: "قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾[6]، يقرأ بكسر التاء، على الاتباع، أو على لغة من كسر

---

(1) المزهر 1 / 222 .

(2) قال أبو عبيدة: ضَبَحَت الخيل وضَبَعَت: إذا عَدَتْ، وهو السَّيْر ، لسان العرب (ض ب ح) 4 / 2547 .

(3) الإبدال صـ 86 , 87 . وينظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 / 246 , والمزهر 1 / 466 .

(4) ﴿ ... وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ سورة البقرة من الآية (60) .

(5) إعراب القراءات الشواذ 1 / 65 .

(6) ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ سورة طه من الآية (42) .

حرف المضارعة[1]" .

ج. (أَضِلُّ)

النص: "قوله تعالى: ﴿ **أُضِلُّ** ﴾[2]، يقرأ بكسر الهمزة وفتح الضاد ؛ أما فتح الضاد فلغة مبنية على ضَلِلت بالكسر، وأما كسر الهمزة فعلى لغة من يكسر حرف المضارعة[3]".

د. (أَعْهَد)

النص :"قوله تعالى : ﴿ **أَعْهَد** ﴾[4] ، يقرأ بكسر الهمزة، وهي لغة من كسر حرف المضارعة[5]".

ه. (سَنَفْرُغ)

النص :" قوله تعالى : ﴿ **سَنَفْرُغ** ﴾[6]، يقرأ بفتح الراء وهي لغة من أجل حرف الحلق، ويقرأ كذلك إلا أنَّه بكسر النون , وهي لغة من كسر حرف المضارعة[7] ... ".

و. (لَتَرْكَبُن)

النص: "قوله تعالى : ﴿ **لَتَرْكَبُن** ﴾[8]، يقرأ بكسر التاء ، على لغة من كسر حرف المضارعة[9] ... " .

التعليق :

حملت النصوص الستة السابقة صورة التناوب بين حركتي الفتح والكسر، والطبيعة الخاصَّة لكل من هاتين الحركتين تقضي بأنَّ الفتح يمثل جانب الخفَّة والسهولة؛ لأنَّه من أصوات اللين المتسعة ، بينما يمثل الكسر جانب الثقل والصعوبة بالنسبة له؛ لأنَّه من أصوات اللين الضيقة[10] .

---

(1) إعراب القراءات الشواذ 2 / 71 .
(2) ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ سورة سبأ من الآية (50) .
(3) إعراب القراءات الشواذ 2 / 338 .
(4) ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ... ﴾ سورة يس من الآية (60).
(5) إعراب القراءات الشواذ 2 / 368 .
(6) ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ سورة الرحمن الآية (31) .
(7) إعراب القراءات الشواذ 2 / 541 .
(8) ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ سورة الانشقاق الآية (19) .
(9) إعراب القراءات الشواذ 2 / 694 .
(10) ينظر : الأصوات اللغوية . د . إبراهيم أنيس صـ 41 .

والحديث عن صورة هذا التناوب من خلال النصوص السابقة يقضي بتقسيم تلك القضية إلى ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : القراءة

عن طريق كسر حرف المضارعة في الكلمات القرآنية الست السابقة ظهرت بعض القراءات القرآنية , والجدول التالي يوضح تلك القراءات منسوبة إلى مَنْ قرأ بها :

م	القراءة	النسبة
1	تعثوا	سليمان بن مهران الأعمش [1] .
2	تِنيا	يحيى بن وثاب [2] .
3	إضل	عبد الرحمن المقرئ [3] .
4	إعهد	يحيى بن وثاب وطلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي[4].
5	سنِفرغ	أبو السمال وعيسى بن عمر الثقفي [5].
6	لتِركبن	عبد الله بن مسعود , وعبد الله بن عباس [6] .

المسألة الثانية : لغة كنانة

ذكر المؤلف في القراءة الأولى أنَّ من لغة كنانة كسر حرف المضارعة، واكتفى بذلك عن تكرارها بعد ذلك مع القراءات الخمس الأخرى، وقد اقتصر المؤلِّف على ذكر قبيلة واحدة فقط من جملة إحدى القبائل العربية الكثيرة التي تميل إلى ذلك، حيث ذكر أهل اللغة جملة من القبائل العربية، والنصوص التالية توضح ذلك :

---

(1) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 6 .

(2) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 90 , والبحر المحيط 7 / 336 . وبدون نسبة في الكشاف 3 / 65 , ومفاتيح الغيب 20 / 610 .

(3) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 123 , والبحر المحيط 8 / 564 , وبدون نسبة في الكشاف 3 / 592 .

(4) ينظر: مختصر في شواذ القرآن صـ 126، والبحر المحيط 9/77، وبدون نسبة في الكشاف 4/23، ومفاتيح الغيب 25/162 .

(5) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 150، والمحتسب 2 / 304، والبحر المحيط 8 / 194، وفتح القدير للشوكاني 5 / 137 – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .

(6) ينظر: البحر المحيط 10 / 439،وفتح القدير 5 / 408، وفي مختصر شواذ القرآن صـ 171 بعضهم، وغير منسوبة في الكشاف 4 / 727 .

أولا ـ لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز

يقول سيبويه: "باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحروف حين قلت فَعِلَ وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تِعْلم ذاك، وأنا إِعْلَم، وهي تِعْلَم، ونحن نِعْلَم ذاك وكذلك كل شيء فيه فعِل من بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن لام أو عين ، والمضاعف وذلك قولك: شَقِيتَ فأنت تِشْقَى وخَشِيتُ فأنا إِخْشَى، وخِلْنَا فنحن نِخالُ ، وعَضِضْتُنَّ فأنتنَّ تِعْضَضْن وأنت تعضَّين[1]... " .

ثانيًا ـ لغة أسد وغيرهم

يقول الفراء عن حركة النون في: ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ : "هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون[2]" .

ثالثًا ـ لغة تميم

يقول ابن جنِّي: "هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور، نحو علمت تِعْلم ، وأنا إِعْلَمُ ، وهي تِعْلَمُ ، ونحن نِرْكَب[3] " .

رابعًا ـ لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب

يقول ابن منظور: "وتعلم – بالكسر–: لغة تميم، وقيس، وأسد، وربيعة ، وعامة العرب، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن والسراة وبعض هذيل فيقولون: تَعْلم والقرآن عليها ، قال: وزعم الأخفش أنَّ كل ما ورد علينا من الأعراب لم يكن إلا تِعْلَم – بالكسر – قال : نقلته من نوادر أبي زيد[4]" .

خامسًا ـ هذيل وبعض كلب

يقول أبو حيَّان عن كسر نون نستعين: "وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة ... وقال أبو جعفر الطوسي: وهي لغة هذيل[5] ".

ويقول أيضاً: "وبعض كلب يكسرون أيضًا في الياء يقولون هو يِعلم[6]" .

---

(1) الكتاب 110/4، وأيده ابن الحاجب والرضي في ذلك. ينظر الكافية في النحو لابن الحاجب. شرحها، رضي الدين الاستراباذي 2 / 228 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1405هـ - 1985م، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب 1 / 114 .

(2) الصاحبي لابن فارس . تحقيق السيد أحمد صقر صـ 28 – مطبعة الحلبي – دار إحياء الكتب العربية .

(3) المحتسب 1 / 330 . وينظر : البحر المحيط 10 / 439 .

(4) لسان العرب(و ق ي) 6 / 4902 .

(5) البحر المحيط 1 / 42، 43 .

(6) السابق 1/ 343 .

وانطلاقاً مما سبق يتضح لنا أن نسبة الفتح كانت من نصيب أهل الحجاز، بينما كانت نسبة الكسر من نصيب القبائل الآتية : تميم – قيس – أسد – ربيعة – هذيل – بهراء – بعض كلب.

ولو أنَّ الرواة لم ينسبوا هذه اللهجة إلى قبيلة هذيل لحكمنا بأنَّ المجتمع الحضري يميل بطبيعته إلى الفتح باعتباره رمزًا للخفَّة والسهولة ، بينما يميل المجتمع البدوي إلى الكسر باعتباره رمزًا للثقل والصعوبة الناجم من طبيعته التي يحياها ، ولكن جاءت نسبة ظاهرة الكسر إلى قبيلة هذيل وهي من سكان الحجاز لتقلب الحقائق وتؤكِّد على هذه النتيجة التي تقضي بأنَّ اللهجات العربية لا تعترف بالحدود الفاصلة بينها وبين شقيقاتها من اللهجات الأخرى .

المسألة الثالثة: الظاهرة اللهجية

ذكرت كتب اللغة أنَّ كسر حرف المضارعة ظاهرة لهجية قديمة عُرفت بـ (تلتلة بهراء) نسبة إلى إحدى القبائل الناطقة بذلك , حيث يقول ابن جنِّي: "وأما تلتلة بهراء فإنَّها تقول: تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل هذه الحروف[1]" .

"ومن بهراء سرت عدوى كسر حرف المضارعة إلى العرب قاطبة ما عدا أهل الحجاز[2]".

وليست التلتلة خاصة بحرف التاء فقط كما يظهر من تسميتها عند بعض العلماء بل تشمل جميع حروف المضارعة , وقد فسر السيوطي التلتلة بذلك عندما قال نقلا عن ثعلب: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء[3]" .

(2) الأسماء

لم يرد التناوب بين الفتح والكسر في الأسماء في كتاب "إعراب القراءات الشواذ" منسوباً إحداها إلى إحدى القبائل العربية بذلك إلا من خلال لفظة واحدة فقط وهي (سينين) ، حيث يقول المؤلِّف: " قوله تعالى : ﴿ سِينِين ﴾[4] يقرأ بفتح السين ، وهي لغة بكر بن وائل[5]" .

---

(1) سر صناعة الإعراب 1 / 235 .

(2) اللهجات العربية . د . إبراهيم محمد أبو سكين صـ 83 بتصرف يسير – الفاروق الحديثة للطباعة والنشر 1406هـ – 1986 م .

(3) المزهر 1/ 211، وينظر : الخصائص 2/ 13، وفصول في فقه العربية د . رمضان عبد التواب صـ 125 – مكتبة الخانجي – الطبعة الثالثة 1408هـ – 1987م , واللهجات العربية د . إبراهيم أبو سكين صـ 84 .

(4) ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ سورة التين الآية (2) .

(5) إعراب القراءات الشواذ 2 / 725 .

التعليق:

من خلال النص السابق يمكن تقسيم الشرح والتعليق عليه من خلال مسألتين:

المسألة الأولى : القراءة

ذكر المؤلِّف القراءة بفتح السين دون نسبة إلى مَنْ قرأ بها، في حين ذكرت كتب القراءات والتفسير أنَّها قراءة عمرو بن ميمون، وابن أبي إسحاق، وأبي رجاء[1] .

المسألة الثانية : لغة بكر بن وائل

نسب المؤلِّف القراءة بفتح السين إلى قبيلة بكر بن وائل، في حين ذكرت كتب اللغة أنَّها لغة تميم إضافة إلى ذلك[2] .

وفي نسبة الفتح إلى قبيلة بكر بن وائل وقبيلة تميم، وهما من القبائل البدوية ما يدعو إلى التساؤل: كيف تميل القبائل البدوية إلى الفتح وهو رمز الخفة والسهولة، في حين تجنح القبائل الحضرية إلى الكسر وهو رمز الثقل والصعوبة ؟ .

والجواب كما سبق يؤكِّد على أنَّ الواقع اللغوي لا يعترف بحدود فاصلة بين اللهجات العربية , وأنَّها شقيقات فيما بينها .

الصورة الثانية : الإبدال بين الفتح والكسر والضم

النص: " قوله تعالى : ﴿ مِن تَفـوُتٍ ﴾[3] ، يقرأ بفتح الراء، وكسرها، وضمِّها، كل ذلك مع الألف , وهي لغات محكية عن الكلابيين حكاها أبو زيد[4] " .

التعليق:

يعرض النص السابق لمسألتين هما :

المسألة الأولى : القراءة

ذكر المؤلِّف القراءات الثلاث في: ﴿ تَفَـوُت ﴾ بفتح الواو وكسرها وضمِّها دون نسبة لأحد من القراء ، وقد اكتفت كتب القراءات والتفسير بنسبة القراءة بالضم إلى الجمهور، والنص على أنَّ الفتح والكسر شاذان كما حكى أبو زيد بدون نسبة لأحد من القراء أيضاً[5] .

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق أحمد صادق الملاح 16 / 330 – القاهرة – 1394هـ - 1974م ، والجامع لأحكام القرآن 10 /7451 ، والبحر المحيط 10 / 503 ، والدر المصون 6 / 543 .

(2) ينظر: المحرر الوجيز 16 / 330 ، والبحر المحيط 10 / 503 ، والدر المصون 6 / 543 .

(3) ﴿ ... مَّا تَرَىٰ فِي خَلقِ ٱلرَّحمَٰنِ مِن تَفَـوُتٍ... ﴾ سورة الملك من الآية (3) .

(4) إعراب القراءات الشواذ 2 / 603 .

(5) ينظر: مختصر في شواذ القرآن صـ 159، والبحر المحيط 10 / 221، والدر المصون 6 / 341، وحكاها ابن السكيت في لسان العرب (ف و ت) 5 / 3481 .

المسألة الثانية : اللغة والقياس

ذكر المؤلِّف أنَّ الفتح والكسر والضَّمَّ لغات محكية عن الكلابيين حكاها أبو زيد، وليس الأمر كما ذكر المؤلِّف ، فإنَّ الفتح فقط هو لغة الكلابيين ، في حين ذكرت كتب اللغة أنَّ الكسر لبني العنبر من تميم ، والضم لغة لغالب أهل العرب ، حيث ذكر في لسان العرب: "وتفاوَت الشيئان : أي تباعد ما بينهما تفاوُتًا – بضم الواو – وقال الكلابيون في مصدره: تفاوَتًا – ففتحوا الواو – ، وقال العنبري: تفاوِتًا – بكسر الواو– وهو على غير قياس ؛ لأنَّ المصدر من تفاعَل يتفاعَل تفَاعُل ، مضموم العين ، إلا ما رُوِي من هذا الحرف[1]" .

إذآ فالمصدر من كل ماضٍ أوله تاء المطاوعة أو شبهها يصاغ بضم ما قبل آخره إن صح الآخر[2]، **حيث يقول الميداني**: "**ومصدر تفاعل يجيء على تفاعُل نحو : تقاتلوا تقاتلا، وتثاقلوا تثاقلا**[3]".

([1]) لسان العرب (ف و ت) 5 / 3481 .

([2]) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد صـ 206. وينظر: الكتاب 4 / 79 ، ونزهة الطرف في علم الصرف للميداني د. يسرية محمد إبراهيم حسن 1 / 445 – الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م، وشرح المفصل 6 / 48 ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام . تأليف د . محمد محيي الدين عبد الحميد 3 / 239 – الطبعة الخامسة 1399هـ - 1979م ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 3/ 130 – دار التراث – الطبعة العشرون 1400 هـ - 1980م ، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري 2/ 76 – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 2 / 308 – دار إحياء الكتب العربية – مصطفى الحلبي .

([3]) نزهة الطرف في علم الصرف للميداني 1/ 445 .

القضية الثانية
إعراب المثنى

من المعروف أنَّ لغتنا العربية تلزم المثنى والملحق به الألف في حالة الرفع، والياء في حالتي النصب والجر، على المشهور في لغة العرب[1]، ولكن كان لبعض القبائل العربية وجهة أخرى في هذا المبدأ فألزمت المثنى الألف في جميع الحالات .

وقد ذكر المؤلِّف في كتابه نَصَّين للدلالة على ذلك :

النص الأول: "قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ...﴾[2]، يقرأ (مؤمنان) بألف ؛ وفيه ثلاثة أوجه: أحدهما: أن اسم كان مضمر فيها ، أي كان هو، والجملة بعده في موضع نصب ، والثاني: فيها ضمير الشأن، والثالث: هو على لغة بلْحارث[3]" .

النص الثاني: "قوله تعالى: ﴿ ٱمْرَأَتَيْنِ ﴾[4]، يقرأ بألف مكان اليَاء ، والوجه فيه: أن علَّق (وَجَد) وجَعَل فيه ضمير الشأن ، (فامرأتان) مبتدأ ، و (تذودان) صفة و(من دونهم) الخبر ، والجملة بعده في موضع نصب مفعول يجدُ ، ويجدُ على هذا من وُجْدان القلب ، ويجوز أن يكون لغة بلْحارث[5]" .

التعليَق :

من إحدى القضايا اللغوية التي كانت محور اختلاف بين القبائل العربية قضية المثنى وعلامات إعرابه , وقد ذكر المؤلِّف من القراءات القرآنية ما يؤيِّد ذلك .

والكتاب في تلك القضية من خلال النصَّين السابقين يمكن تقسيمه إلى أربع مسائل :

المسألة الأولى : القراءة

قرأ أبو سعيد الخدري والجحدري بإلزام المثنى الألف في (مؤمنين) في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ...﴾[6] ، وقرأ عبد الله بن مسعود بالألف في ﴿ ٱمْرَأَتَيْنِ ﴾ في قوله تعالى :﴿ ... وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ...﴾[7] .

---

(1) ينظر : شرح ابن عقيل 1 / 58 ، وأوضح المسالك 1 / 50 .

(2) سورة الكهف من الآية (80) .

(3) إعراب القراءات الشواذ 2 / 31 .

(4) ﴿ ... وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ... ﴾ سورة القصص من الآية (23) .

(5) إعراب القراءات الشواذ 2 / 256 .

(6) ينظر: المحتسب 2/ 33، والكشاف 2 / 741، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 2 /59، والبحر المحيط 7 /214.

(7)ينظر: معاني القرآن للفراء. تحقيق . أحمد يوسف نجاتي ، محمد على النجار 2 / 305 – طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

المسألة الثانية : لغة بـلحارث بن كعب

ذكر المؤلِّف أنَّ لغة بلحارث بن كعب هي التي تلزم المثنى الألف في جميع الحالات , وذلك غالب أقوال أهل العلم , والنصوص التالية تؤكِّد ذلك :

أ / يقول أبو زيد : "ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفًا ، يقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت الثوبان ، والسلام علاكم ، فهذه الأبيات على لغتهم[1]".

ب / ذكر ابن فارس في "باب القول في اختلاف لغات العرب" قوله: "ومنها – الاختلاف في الإعراب نحو : "ما زيد قائمًا" و"ما زيد قائم" و"إن هذين" و"إنَّ هذان[2]" وهي بالألف لغة بني الحارث بن كعب ، يقولون في كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها[3]...".

جـ / يقول ابن مالك: "ولزوم الألف لغة حارثية[4]" .

ولكن السؤال: هل هذه الظاهرة خاصة بقبيلة بلحارث بن كعب فقط دون القبائل العربية الأخرى أم لا ؟.

والجواب : أنَّ تلك الظاهرة قد تعدَّت تلك القبيلة إلى قبائل أخرى كثيرة تلزم المثنى الألف في جميع الحالات ، إضافة إلى قبيلة بلحارث بن كعب وهي كما ذكر السيوطي: "ولزوم الألف في الأحوال الثلاثة لغة معروفة عزيت لكنانة وبني الحارث بن كعب وبني العنبر، وبني الهُجَيم وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل ؛ وزُبيد ،وخَثْعم ، وهَمْدان ، وفزارة ، وعُذْرَة[5]" .

---

(1) ينظر : النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري . تحقيق . د . محمد عبد القادر أحمد صـ 259 – دار الشروق – الطبعة الأولى 1410هـ - 1981م .

(2) ﴿ ... إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ ... ﴾ سورة طه من الآية (63) .

(3) الصاحبي صـ 29 ..

(4) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد صـ 12 .

(5) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي. تحقيق . أحمد شمس الدين 1 / 134 – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م. وينظر : معاني القرآن للفراء 2 / 184, ومعاني القرآن للأخفش. حققه د . فائز فارس 1 / 292، 2 / 629 – الكويت – الطبعة الثانية 1401هـ - 1981، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق . د . عبد الجليل شلبي 3 / 362 – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 م ، ومعاني القراءات للأزهري، تحقيق د . عيد مصطفى درويش 2 / 150، 151 – دار المعارف المصرية – الطبعة الأولى 1412هـ - 1991م ، وسر صناعة الإعراب. حققه أحمد فريد أحمد 2 / 240 – المكتبة التوفيقية ، والخصائص 2 / 16، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 1 / 419، وإبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي. تحقيق . د . إبراهيم عطوة عوض صـ 591 – مطبعة البابي الحلبي 1402هـ - 1981م، ولسان العرب (ذا) 3 / 1471، والبحر المحيط 7 / 350، وشرح المفصل 3 / 130، وحاشية الصبان 1 / 79، وشرح التصريح 1 / 127، واللهجات العربية نشأة وتطوراً. د . عبد الغفار حامد هلال صـ 314 .

المسألة الثالثة : التعليل لهذه الظاهرة

حاول ابن جني تلمس العلة وراء استعمال المثنى بالألف في جميع حالاته – رفعاً ونصباً وجرًا – فذكر أنَّ خوف اللبس هو العلة في استعماله بالياء في حالتي النصب والجر، وأما استعماله بالألف في جميع حالاته فعلى الأصل، حيث يقول: "إنَّ من العرب من لا يخاف اللبس، ويُجرى الباب على أصل قياسه، فيدع الألف ثابتة في الأحوال الثلاث، فيقول: قام الزيدان، وضربت الزيدان ، ومررت بالزيدان[1] ..." .

ولكن من الباحثين المحدثين من حاول تفسير هذه الظاهرة عن طريق انكماش الصوت المركب وتحول الحركة الممالة الناتجة عن هذا الانكماش إلى فتحة خالصة .

وقد لخص "هانز كفلر" حالات انكماش الصوت المركب عند قبيلة "بلحرث بن كعب" كما في المصادر العربية ؛ فذكر أنَّ بلحارث بن كعب (من تميم) يقلبون الواو والياء الساكنتين بعد فتحة ، ألفاً، مثل: "علاها" في "عليها"، و"ياءس" في "يَيْأس" و"ياتزن" في "يَوْتزن" و"ياتعد" في "يَوْتعد" و "ياتسِع " في "يَوْتسِع"، و"يالِغ" في "يَوْلغ" و"إلاك" في "إليك" .

ثم يقول إنَّ هذه الظاهرة تفسر ورود صيغة (فُعال) للتصغير، بجانب (فُعَيْل)، كما تفسر إلزام المثنى الألف ، وهذا يعزى كذلك لقبيلة بلحارث بن كعب[2] .

وما كان هذا الأمر إلا نتيجة لتطبيق قانون السهولة والتيسير كما ذهب بعض الباحثين، حيث "تميل اللغة في تطورها، نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة ، وتستبدل بها أصواتًا أخرى، لا تتطلب مجهودًا عضليًّا كبيراً، كما أنَّها تحاول أن تتفادى تلك التفريعات المعقدة، والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة، وإلى هذا يذهب كثير من علماء اللغة، من أمثال "هويتنى" الذي يرى أنَّ كل ما نكتشفه من تطور في اللغة، ليس إلا أمثلة، لنزعة اللغات إلى توفير المجهود، الذي يبذل في النطق، وأنَّ هناك استعدادًا للاستغناء عن أجزاء الكلمات، التي لا يضر الاستغناء عنها بدلالتها[3]" .

---

(1) ينظر: سر صناعة الإعراب تحقيق . أحمد فريد أحمد 2 / 240 .

(2) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه . د . رمضان عبد التواب صـ 82 – مكتبة الخانجي بالقاهرة 1417هـ – 1997م . وينظر : المنصف لابن جني شرح لتصريف المازني . تحقيق د . إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين 1/202، 203 – إدارة إحياء التراث القديم – الطبعة الأولى 1373هـ – 1954م .

(3) التطور اللغوي د . رمضان عبد التواب صـ 75. وينظر : في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ 143،144، وفصول في فقه اللغة . د . رمضان عبد التواب صـ 376 .

المسألة الرابعة : صلاحية هذه اللغة

لا شكَّ أنَّ تلك اللغة التي تلزم المثنى الألف في جميع الحالات لغة فصيحة بدليل كثرة الناطقين بها من مختلف القبائل العربية ، إضافة إلى تلك الشواهد العربية الفصيحة التي تؤكد ذلك ، ومنها :

أ / من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ ... إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ... ﴾[1] .

ب / من الحديث النبوي الشريف قوله (ﷺ) : "لا وَتران بليلة[2]" .

([1]) سورة طه من الآية (63) ، والسبعة على الألف في (هذان) عدا أبي عمرو. ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق د . شوقي ضيف صـ 419 – دار المعارف –الطبعة الثالثة 1400 هـ، والحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي، حققه . بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجاتي 5 / 229 – دار المأمون للتراث – الطبعة الثانية 1413هـ - 1993م ، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني صـ 123 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1405هـ - 1984م ، والعنوان في القراءات السبع لإسماعيل بن خلف الأنصاري. حققه د.زهير زاهد , د.خليل العطية صـ29 – عالم الكتب – الطبعة الثانية 1406هـ - 1986م.

والحجة لمن أتى بألف في (هذان) : أنَّه احتج بخبر الضحاك عن ابن عباس : أنَّ الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حيٍّ من أحياء العرب ، هذه اللفظة بلغة (بلحارث ابن كعب) خاصة ، لأنَّهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه , لا يقلبونها لنصب ولا خفض ، قال شاعرهم : إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

فلما ثبتت هذه اللفظة في السواد بالألف، وافقت هذه اللغة ، فقرؤوا بها ، ولم يغيروا ما ثبت في المصحف. الحجة في القراءات السبع لابن خالويه .تحقيق . د . عبد العال سالم مكرم صـ 242،243 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة – 1410هـ - 1990م. وينظر : معاني القرآن للفراء 2 / 184، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج 3 / 362 : 364، والحجة للقراء السبعة 5 / 230 : 232، وحجة القراءات لأبي زرعة. تحقيق. سعيد الأفغاني صـ 454 : 456 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية 1399هـ - 1979م، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق د . محيي الدين رمضان 2 / 99، 100 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987، والكشاف 3 / 72، والجامع لأحكام القرآن 6 / 4390 : 4399، وشرح ابن عقيل 1 / 58، 59، والبحر المحيط 7 / 349، 350، والدر المصون 5 / 34، 36 .

([2]) الحديث رواه النسائي في كتاب (قيام الليل وتطوع النهار)، باب (نهي النبي -ﷺ- عن الوِتْرَيْنِ في ليلة): "عن قَيْس بن طَلْق قال: "زارنا أبو طَلْقُ بن على في يوم من رمضان فأمسى بنا وقام بنا تلك الليلة وأَوْتَرَ بنا ، ثم انحدر إلى مسجد فَصَلَّى بأصحابه حتى بَقِيَ الوِتْرُ، ثم قَدَّم رَجُلاً فقال له: أَوْتِرْ بهم، فإني سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: لا وِتْرَان في ليلة" سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. حققه. مكتب تحقيق التراث الإسلامي 3 / 255 – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م .

جـ/ من الشعر قول الشاعر

تزود منا بين أذناه ضربة دَعَتْه إلى هابي التراب عقيم[1] .

ولكن الأفصح أنَّ "إعراب المثنى وملحقاته بالحروف هو أشهر المذاهب الصحيحة وأقواها ... ويجب الاقتصار عليه في عصرنا؛ منعاً للفوضى والاضطراب في الاستعمال الكلامي والكتابي، وأما اللغات الأخرى الصحيحة فلا يسوغ استعمالها اليوم – بالرغم من جواز محاكاتها – وإنما تُذْكر للمتخصصين ، ليسترشدوا بها في فهم بعض النصوص اللغوية الواردة عن العرب بتلك اللغات واللهجات[2]" .

([1]) البيت لهَوْبَر الحارثي برواية (أذنيه) على الأصل و(طعنة) في: مقاييس اللغة لابن فارس. تحقيق. عبد السلام محمد هارون (ع ق م) 4 / 76، (ه ب و) 31/6 – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م ، والصحاح (ص ر ع) 1242/3، و(ش ظ ى) 2393/6 ، ولسان العرب (ش ظ ى) 4 / 2268، و (ص ر ع) 2432/4، 2433، وبرواية (ضربة) في الصحاح (ه ب ي) 2532/6، ولسان العرب (ه ب ي) 4609/6 .

والبيت برواية (أذنيه) على لغة بلحارث بن كعب بلا نسبة في جمهرة اللغة لابن دريد 2 / 703 – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1987م. وينظر: الصاحبي صـ 49، وسر صناعة الإعراب 2 / 704، وشرح المفصل 3 / 128، 133، والهابي من التراب: ما ارتفع ودَقَّ ، وموضعٌ هابي التراب: كأنَّ ترابه مثل الهباء في الرقة. لسان العرب (ه ب ي) 4609/6. والمعنى: يصف رجلاً قتله أبطالهم ، ويذكر أنهم طعنوه طعنة واحدة ، فخر منها ميِّتًا ؛ لأنَّها طعنة خبير بموضع الطعن للميت .

والشاهد فيه: قوله: "أذناه" فإنَّه مثنى "أذن" للجارحة المعروفة ، وهذه الكلمة في موضع جر بإضافة الظرف الذي هو بين إليها ... ومن حق المضاف إليه أن يكون مجرورًا ، ولو أنَّه جاء به على اللغة المشهورة المستعملة في لسان أكثر العرب لجره بالياء فقال: "بين أذنيه" ولكنَّه جاء بذلك على ما يجرى به لسان بعض العرب ... ومن لغة هؤلاء أن يلتزموا في المثنى الألف في الأحوال كلها ، فيكون مرفوعًا بضمة مقدرة على الألف ، منع من ظهورها التعذر، وهكذا في بقية الأحوال الثلاثة ، فهو في ذلك مثل المقصور كالفتى والهدى والعصا والرحى ، ونحوهن. ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام . تأليف . د . محيي الدين عبد الحميد – دار الأنصار – الطبعة الخامسة عشر – 1398هـ - 1978م .

([2]) النحو الوافي . عباس حسن 1 / 123 , 124 - دار المعارف – الطبعة السابعة .

القضية الثالثة
واو الجمع

عن طريق إلحاق واو الجمع بالفعل مع وجود الاسم الظاهر ظهرت تلك اللغة المعروفة بـ "أكلوني البراغيث" في إعراب القراءات الشواذ للعكبري "عن طريق النص التالي :

"ويقرأ (أفلحوا)[1] بزيادة واو الجمع ، وهو لغة من قال أكلوني البراغيث[2]" .

التعليق:

ذكر المؤلِّف القراءة بزيادة واو الجمع على الفعل مع وجود الاسم الظاهر دون نسبة لأحد من القرَّاء ، وكذلك دون إسناد تلك اللغة إلى القبائل العربية الناطقة بذلك محتجًا بأنَّها جاءت وفقًا للغة "أكلوني البراغيث" اعتمادًا على شهرة تلك اللغة ، ومن ثم شهرة القبائل العربية التي تنسب إليها هذه اللغة .

وحتى نعالج تلك القضية معالجة دقيقة عن طريق النص السابق كان لابد من تقسيمها إلى ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: القراءة

قرأ طلحة بن مصرف ومجاهد بزيادة واو الجمع على الفعل "أفلحوا" مع وجود الاسم الظاهر (المؤمنون)[3] .

قال عيسى بن عمر: سمعت طلحة بن مصرف يقرأ قد أفلحوا المؤمنون ، فقلت له: أتلحن؟ قال: نعم ، كما لحن أصحابي ، يعني أنَّ مرجوعه في القراءة إلى ما روي، وليس بلحن ؛ لأنَّه على لغة أكلوني البراغيث [4] .

يعني أنِّي اتبعتهم فيما قرأت ، فإن لحنوا على سبيل فرض المحال لألحن تبعًا لهم، وهذا يدل على شدة اعتناء القدماء بالنقل وضبطه خلافًا لما يغلط الرواة [5] .

---

(1) ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة المؤمنون الآية (1) .

(2) إعراب القراءات الشواذ 2 / 153 .

(3) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 99 ، وشواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرماني صـ 165 – نسخة مصورة من المخطوط رقم 224 قراءات – مكتبة الجامع الأزهر، والكشاف 3 / 174، والمحرر الوجيز 11 / 222، ومفاتيح الغيب 22 / 341، والبحر المحيط 7 / 546، والدر المصون 5 / 171 .

(4) البحر المحيط 7 / 546 . وينظر : الدر المصون 5 / 172 .

(5) الدر المصون 5 / 172

وقد ذكر ابن عطية أنَّ تلك قراءة مردودة[1] "ولا أدري كيف يردونها مع ثبوت مثلها في القرآن بإجماع[2]".

المسألة الثانية : اللغة ونسبتها

من المعروف لدى علماء اللغة أنَّ صورة الإفراد هي الصورة العامَّة للفعل العربي حتى ولو تغايرت صورة الفاعل بين التثنية والجمع ، فمن أحكام الفاعل كما ذكروا "أنَّ فعله يُوَحَّد مع تثنيته وجمعه ، كما يُوَحَّد مع إفراده فكما تقول: "قام أخوك" كذلك تقول: "قام أخواك" و"قائم إخْوَتُك" و"قام نِسْوَتُك".

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾[3]، ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4]، ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾[5] [6]"وذلك بتوحيد المسند في الجميع ... ولغة التوحيد هي الفصحى وبها جاء التنزيل[7]".

والعلَّة في ذلك كما ذكر سيبويه: "وإنما قالت العرب: قال قومُك وقال أبواك ؛ لأنَّهم اكتفوا بما أظهروا عن أن يقولوا قالا أبواك، وقالوا قومك، فحذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا[8]".

ولكن ظهر عند بعض اللهجات العربية نوع من المخالفة لتلك القاعدة، فألحقت واو الجمع بالفعل مع وجود الاسم الظاهر، وهي تلك اللغة المعروفة بـ "أكلوني البراغيث" كما ظهر في نص المؤلِّف اعتمادًا على تلك التسمية التي أطلقها سيبويه في كتابه ، حيث يقول

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز 11 / 222 .

(2) الدر المصون 5 / 172 .

(3) ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ... ﴾ سورة المائدة من الآية (23) .

(4) ﴿ ... وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ سورة الفرقان من الآية (8).

(5) ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ... ﴾ سورة يوسف من الآية (30) .

(6) أوضح المسالك 2 / 98 . وينظر : شرح ابن عقيل 2 / 79 .

(7) ينظر : شرح التصريح على التوضيح 1 / 275 , 2 / 110 .

(8) الكتاب 2 / 36 .

سيبويه: "... ولم يكونوا ليحذفوا الألف لأنَّها علامة الإضمار والتثنية في قول من قال: أكلوني البراغيث[1] ".

وأصحاب هذه اللغة يُلحقون القعل المسند إلى ظاهر، مثنى أو مجموع ، علامة كضميره ، فيقولون: قاما الزيدان ، وقاموا الزيدونَ ، وقُمْنَ الهنداتُ ، فالألف والواو والنون في ذلك حروف ، لا ضمائر، لإسناد الفعل إلى الاسم الظاهر، فهذه الأحرف عندهم كتاء التأنيث في نحو: قامت هند[2] " .

وقد ذكرت كتب اللغة أنَّ تلك اللغة المعروفة بـ "أكلوني البراغيث" قد نسبت إلى مجموعة من القبائل اليمنية ، وهي قبائل طيئ وأزد شنوءة وبلحارث بن كعب .

والنصوص الآتية توضح ذلك :

أ- **يقول المرادي**:"ونسب بعض النحويين هذه اللغة إلى طيئ ، وقال بعضهم: هي لغة أزد شنوءة[3]" .

ب- **يقول ابن هشام**: " ... وحكى البصريون عن طيئ ، وبعضهم عن أزد شَنُوءة نحو:" ضربوني قومك" و"ضَرَبْنَنِي نِسْوَتُك" و "ضربني أخواك[4]".

ج- **ويقول أيضًا**: "واو علامة المذكَّرين في لغة طيئ أو أزْد شنوءة أو بلْحارث[5]".

د- **ذكر الفيروزابادي في البصائر**:"واو علامة المذَكَّرين في لغة طيئ أو أزْدِ شَنُوءَة أو بلْحارث[6]" .

---

(1) الكتاب 1 / 19. وينظر : السابق: 1 / 20، 78، 2 / 41، 3 / 209. وأطلق عليها ابن مالك لغة: "يتعاقبون فيكم" استئناسًا بالحديث الشريف. ينظر: شرح ابن عقيل 1 / 473، وهمع الهوامع 1 / 160.

(2) الجني الداني في حروف المعاني للمرادي. تحقيق . د . فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل صـ 170 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م .

(3) السابق صـ 171 .

(4) أوضح المسالك 2 / 98. وينظر : شرح ابن عقيل 2 / 80 .

(5) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري. تحقيق د . عبد اللطيف محمد الخطيب 4 / 403 – الكويت – التراث العربي – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م .

(6) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي. تحقيق . عبد العليم الطحاوي 5 / 149 – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة 1421هـ - 2000م .

وذكر في القاموس: "واو علامة المذَكَّرين في لغة طيئ و أزد شنوءة أو بَلْحرث[1]".

المسألة الثالثة: صلاحية هذه اللغة

حاول بعض العلماء وسم هذه اللغة بالقلَّة اعتمادًا على ما ظهر منها ما يخالف القاعدة التي قَعَّدها علماء اللغة ، ومنهم :

أ- **سيبويه** ، حيث يقول:"واعلم أنَّ من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخوك ، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في "قالت فلانة" وكأنَّهم أرادوا أن يجعل للجمع علامة ، كما جعلوا للمؤنث ، وهي قليلة[2]".

ب- **المالقي** ، حيث يقول عن هذه الحروف مع تأخير الأسماء: "وإنَّما الكثير حذفها مع التأخير، وإثباتها قليل[3]" .

ويقول أيضًا عن هذه اللغة:"وهذه اللغة شاذَّة قليلة الاستعمال[4]" .

ج- **ابن هشام** ، حيث ذكر النص التالي عن هذه اللغة فيقول: "وقد حُمِل على هذه اللغة آيات من التنزيل العظيم: منها قوله سبحانه: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[5] ، والأجود تخريجها على غير ذلك ، وأحسن الوجوه فيها إعراب (ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ) مبتدأ، و (وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى) خبرًا [6].

وذكر في المغني:"وقد حمل بعضهم على هذه اللغة ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾[7]، ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وحَمْلُها على غير هذه اللغة أولى لضعفها[8] .

---

(1) القاموس المحيط للفيروزابادي (الواو) 4 / 405 – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1400هـ - 1980م .

(2) الكتاب 2 / 40 .

(3) رصف المباني في حروف المعاني للمالقي . تحقيق . أحمد محمد الخراط صـ18، 19 – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1394هـ .

(4) السابق صـ434 .

(5) سورة الأنبياء من الآية (3) .

(6) شرح شذور الذهب صـ229 .

(7) سورة المائدة من الآية (71) .

(8) مغنى اللبيب 4 / 407 .

د- **أبو حيان** ، حيث يقول عند تعليقه على آية : ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ : "وارتفاع كثير على البدل من المضمر، وجوّزوا أن يرتفع على الفاعل ، واو علامة للجمع لا ضمير على لغة أكلوني البراغيث ، ولا ينبغي ذلك لقلَّة هذه اللغة[1] " .

ولكن الواقع اللغوي يشهد بأنَّ هذه اللغة لم تكن شاذَّة أو قليلة الاستعمال بدليل ما ورد لها من شواهد كثيرة ، ذكر منها مجمع اللغة العربية في " كتاب في أصول اللغة" شاهدين من القرآن الكريم ، وأربعة شواهد من الحديث النبوي الشريف ، وشاهدًا من الشعر الجاهلي ، وتسعة شواهد من الشعر الأموي ، وسبعة شواهد من الشعر العباسي[2] .

فمن القرآن الكريم: قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[4].

ومن الحديث النبوي الشريف : ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ– قال : "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار[5]".

ومن الشعر : قول الشاعر [6]

---

(1) البحر المحيط 4 / 328 .

(2) ينظر: كتاب في أصول اللغة. مجمع اللغة العربية 2 / 211، 212 – الطبعة الأولى 1395هـ - 1975م .

(3) سورة المائدة من الآية (71) . فالواو في (عموا) و(صموا) علامة جمع الفاعل. الدر المصون 2 / 580.

(4) سورة الأنبياء من الآية (3). فـ(الذين) فاعل والواو علامة جمع . السابق 5 / 71 .

(5) الحديث في فتح الباري 13 / 560 في "باب كلا م الربِّ مع جبريلَ ونداء الله الملائكة"، كتاب "التوحيد": "عن أبي هريرة أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرُج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلمُ بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلون ، وأتيناهم وهم يُصلون". فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. تحقيق. عبد العزير بن عبد الله بن باز – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م. وينظر الحديث في: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد صـ 140، 221، والجني الداني صـ 170، ومغني اللبيب 4 / 403. والشاهد في الحديث: جواز إظهار ضمير الجمع والتثنية في الفعل إذا تقدم . ينظر: مغني اللبيب 4 / 403 .

(6) هو أُحَيْحَة بن الجلاح، وقيل: أميّة بن أبي الصلت .

يلومونني في اشتراء النخيـ ـل أهلي ، فكلهم يعذل [1]

وقول أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الله العتبي :

رَأَيْنَ الغَوانِي الشَّيْبَ لاحَ بعَارِضِي فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بالخُدُودِ النَّواضِرِ[2]

ولكن بالرغم من كثرة الشواهَد الدَّالة على ثبوت تلك اللغة حاول المنكرون لها تأويل تلك الشواهد على عدَّة أوجه كما ذكر صاحب "الجني الداني" ، حيث يقول: "ومن أنكر هذه اللغة تأوَّل ما ورد من ذلك ، فبعضهم يجعل ذلك خبرًا مقدَّمًا ومبتدأ مؤخَّرًا ، وبعضهم يجعل ما اتصل بالفعل ضمائر، والأسماء الظاهرة إبدال منها، وهذان تأويلان صحيحان لما سُمع من ذلك من غير أصحاب هذه اللغة ، وأما من يحمل جميع ما ورد من ذلك على التأويل فغير صحيح ؛ لأنَّ المأخوذ عنهم هذا الشأن متفقون على أنَّ ذلك لغة قوم مخصوصين من العرب[3].

إذًا فلا مجال لهذا الإنكار، ولا حاجة إلى هذا التأويل ؛ لأنَّ هذه اللغة ثابتة لشهادة أهل اللغة بذلك ، حيث يقول ابن هشام: "والصحيح أنَّ الألف والواو والنون في ذلك أحرف دَلُّوا بها على التثنية والجمع كما دَلَّ الجميع بالتاء في نحو "قامت هند" على التأنيث[4] ؛ لأنَّها

---

(1) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 304/1 – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ، وشرح ابن عقيل 82/2. وينظر: معاني القراء للفراء 316/1، وشرح المفصل 87/3، 7/7، وأوضح المسالك 100/2، وشرح شواهد العيني على حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 460/2 – دار إحياء الكتب العربية ، وشرح التصريح على التوضيح 276/1، والشاهد في البيت قوله: "يلومونني ... أهلي" حيث وصل واو الجماعة بالفعل، مع أن لهذا الفعل فاعلا ظاهراً هو اسم ظاهر مذكور بعد الفعل . أوضح المسالك 101/2، وينظر : مغني اللبيب 404/4، وشرح ابن عقيل 82/2 .

(2) شرح الأشموني 304/1، وشرح ابن عقيل 83/2، وشرح شذور الذهب صـ 228. والشاهد في البيت قوله: "الغواني" فإن الشاعر قد وصل الفعل بنون النسوة في قوله "رأين" مع ذكر الفاعل الظاهر بعده، وهو قوله : "الغواني"، ينظر: شرح ابن عقيل 84/2 .

(3) الجني الداني صـ 171. وينظر : شرح ابن عقيل 80/2.

(4) الفرق بين علامة التأنيث وعلامة التثنية والجمع من ثلاثة أوجه : الأول : أن إلحاق علامة التثنية والجمع لغة لجماعة من العرب بأعيانهم – يقال: هم طيىء ، ويقال : هم أزد شنوءة – وأما إلحاق تاء التأنيث فلغة جميع العرب . الثاني : أن إلحاق علامة التثنية والجمع عند من يلحقها جائز في جميع الأحوال ، ولا يكون واجباً أصلا ؛ فأما إلحاق علامة التأنيث فيكون واجبًا إذا كان الفاعل ضميراً متصلا لمؤنث مطلقًا ، وإذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا حقيقي التأنيث . الثالث / أن احتياج الفعل إلى علامة التأنيث أقوى من احتياجه إلى علامة التثنية والجمع ؛ لأن الفاعل قد يكون مؤنثًا بدون علامة ويكون الاسم مع هذا مشتركًا بين المذكر والمؤنث كزيد وهند ، فقد سمي بكل من زيد وهند مذكر , وسمي بكل منهما مؤنث ، فإذا ذكر الفعل بدون علامة التأنيث لم يعلم أمؤنث فاعله أم مذكر ، فأما المثنى والجمع فإنه لا يمكن فيهما احتمال المفرد . شرح ابن عقيل 81/2 هامش (2) , وأوضح المسالك 105/2 هامش (1) . وينظر : الدر المصون 181/5 .

ضمائر الفاعلين وما بعدها مبتدأ على التقديم والتأخير، أو تابع على الإبدال من الضمير ... لقول الأئمة: إنَّ ذلك لغة لقوم معينين ، وتقديم الخبر والإبدال لا يختصان بلغة قوم بأعيانهم[1]".

لكن "ليس الإتيان بعلامة التثنية إذا كان الفاعل مثنى أو بعلامة الجمع إذا كان الفاعل مجموعًا واجبًا عند هؤلاء ، بل إنَّهم ربما جاءوا بالعلامة وربما تركوها[2] .

إذًا فهي لغة فصيحة ، ولكنَّها لم تبلغ من درجة الشيوع والجري على ألسنة الفصحاء ما بلغته الأولى التي يحسن الاكتفاء بها اليوم ، والاقتصار عليها ؛ إيثارًا للأشهر، وتوحيدًا للبيان – مع صحة الأخرى – ؛ لأنَّ الوارد المسموع بها كثير في ذاته ، وإن كان قليلا بالنسبة للوارد من اللغة الأخرى، ولا معنى لما يتكلفه بعض النحاة من تأويل ذلك الوارد المشتمل على علامة التثنية أو الجمع مع وجود الفاعل الظاهر بعد تلك العلامة ، قاصدًا بالتأويل إدخال تلك الأمثلة تحت حكم آخر لا يمنع اجتماع الضمير مع ذلك الاسم المرفوع في جملة فعلية واحدة ؛ فهذا خطأ منهم ، إذ المقرر أنَّ القلَّة النسبية لا تمنع القياس ، وأنَّه لا يصح إخضاع لغة قبيلة للغة أخرى مادامت كلتاهما عربية فصيحة .

ومن البديه أنَّ محاكاة القرآن في ألفاظه المفردة والمركبة محاكاة دقيقة أمر سائغ بل مطلوب ، فإذا حاكيناه في مثل الآيتين السابقتين – وغيرهما – كانت المحاكاة الدقيقة صحيحة قطعًا ، ولا يجرؤ أحد أن يصف التركيب بالخطأ ، ومن شاء بعد ذلك أن يؤول تعبيراتنا بمثل ما أول به الآيتين فليفعل ، وليس يعنينا إلا صحة التركيب المساير للقرآن وسلامته من الخطأ ، سواء أكانت صحته وليدة التأويل أم غيره ، فالمهم الصحَّة لا نوع التعليل[3] .

حيث يقول أبو حيان في شرح التسهيل: "إنَّما يسُوغ التأويل إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأوَّل ، أما إذا كانت لغة طائفة من العرب لم يتكلَّم إلا بها فلا تأويل[4]" .

---

(1) أوضح المسالك 2/105 ، 106 . وينظر : شرح الأشموني 2/48.

(2) شرح ابن عقيل 2/80 هامش (1).

(3) النحو الوافي . عباس حسن 2/74 هامش (2) .

(4) المزهر 1/258.

وفي النهاية فإنَّ " كثرة مجيء ذلك في شعر فحول البلغاء من المحدثين ، يدل على أنَّ هذه اللغة لم تكن مهجورة في الاستعمال ، ولا بعيدة من الفصاحة[1]" .

(1) كتاب في أصول اللغة 212/2.

القضية الرابعة
ما التميميَّة

من حيث الإعمال والإهمال ظهرت "ما" النافية كقضية من إحدى القضايا الخلافية النحوية بين القبائل العربية ، حيث مالت بعض القبائل إلى الإعمال ، في حين مالت الأخرى إلى الإهمال .

وقد ظهرت قضية الإهمال عند العكبري في كتابه مؤيدًا بالقراءة القرآنية من خلال النص التالي: "قوله تعالى: ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ﴾[1]، "يقرأ بضم التاء ، وهي اللغة التميمية[2]".

التعليق :

حمل النص السابق بين طياته ثلاث مسائل يمكن تفصيل القول فيها علي النحو التالي:

المسألة الأولى : القراءة

قرأ المفضل عن عاصم وأبو معمر والسلمي بضم التاء في (أمهاتهم) ، وذلك بإهمال "ما" النافية كما نصَّت على ذلك كتب القراءات والتفسير[3] ، خلافًا لما ذكره الزَّجاج من رفضه لها[4].

المسالة الثانية : لغة تميم

أجمعت كتب اللغة والقراءات والتفسير أنَّ إهمال "ما" النافية لغة لقبيلة تميم ، حيث يقول المجاشعي: "وأما بنو تميم فإنَّهم رأوا "ما" تدخل على الاسم والفعل كـ "هل وبَلْ" وما أشبه ذلك ، وكلُّ حرف يدخل على القبيلين فإنَّه غير عامل في واحد منهما ، فلم يُعْمِلوها لذلك ورفعوا ما بعدها بالابتداء والخبر[5] ... ".

---

(1) ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ... ﴾ المجادلة من الآية (2) .

(2) إعراب القراءات الشواذ 567/2 .

(3) ينظر: السبعة في القراءات صـ 628، ومختصر في شواذ القرآن صـ154، والمحرر الوجيز 437/15، ومفاتيح الغيب 437/30، والجامع لأحكام القرآن 6694/10، والبحر المحيط 121/10، والدر المصون 285/6، وروح المعاني 05/28 وبدون نسبة في الكشاف 485/4، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 138/2 .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 108/3.

(5) شرح عيون الإعراب للمجاشعي. حققه د. عبد الفتاح سليم ص99، دار المعارف – الطبعة الأولى 1408هـ، 1988م. وينظر الكتاب:57/1، والمقتضب 188/4، والكشاف 485/4، والمحرر الوجيز 437/15، وأسرار العربية لابن الأنباري. تحقيق . محمد بهجة البيطار صـ 144 – مطبعة الترقي بدمشق 1377هـ – 1957 م، ومفاتيح الغيب 427/30، ورصف المباني ص144، والجني الداني صـ329، وشرح الأشموني201/1، والبحر المحيط 121/10، والدر المصون 285/6، وشرح التصريح 196/1، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل 119/1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الأخيرة 1359هـ – 1940م ، وروح المعاني 05/28 .

وعلى الرغم من إجماع العلماء على نسبة تلك اللغة إلى قبيلة تميم , ظهرت بعض الآراء التي تقوم بنسبتها إلى قبيلتي نجد , وأسد .

والنصوص التالية توضح ذلك :

أ- **يقول الفراء: "...** وأهل نجد إذا ألقوا الباء رفعوا ، فقالوا: ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرٌ ﴾ [1]، "﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ﴾ [2]".

ب- **يقول الجوهري** عن "ما": "وتكون نفيًا نحو: ما خرج زيدٌ، وما زيدٌ خارجًا، فإن جعلتها حرف نفي لم تعملها في لغة أهل نجد لأنَّها دَوَّارة وهو القياس[3]".

ج- **يقول الشوكاني :** "قرأ الجمهور "أمهاتهم" بالنصب على اللغة الحجازية في إعمال "ما" عمل ليس ، وقرأ أبو عمرو والسلمي بالرفع على عدم الإعمال، وهي لغة نجد وبني أسد[4]".

المسألة الثالثة : القياس

ذكر سيبويه في أحد أبواب كتابه مسألة الخلاف في إعمال "ما" النافية وإهمالها بين الحجازيين والتميميين ، وأنَّ لغة تميم أقوى قياسًا من لغة الحجاز فقال: "هذا باب ما أُجْرِى مَجْرَى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز، ثم يصير إلى أصله": وذلك الحرف "ما" ، تقول: ما عبد الله أخاك ، وما زيدٌ منطلقًا ، وأما بنو تميم فيُجرونها مُجرى أَمَّا وَهْل ، أي لا يعلمونها في شيء ، وهو القياس ، لأنَّه ليس بفعل وليس ما كلَيْسَ ، ولا يكون فيها إضمار [5].

ويؤكِّد الرازي على ذلك فيقول: "قال سيبويه: وهو أقيس الوجهين ، وذلك أنَّ النفي كالاستفهام ، فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه ، فكذا ينبغي ألا يغير النفي الكلام عما كان عليه[6] ...".

---

(1) سورة يوسف من الآية 31 .

(2) معاني القرآن للفراء 139/3 . وينظر : الجامع لأحكام القرآن 6694/10 .

(3) الصحاح (ما) 2555/6 . وينظر : لسان العرب (ما) 4293/6 .

(4) فتح القدير 182/5 .

(5) الكتاب 057/1 وينظر : المقتضب 188/4، والخصائص 125/1، 167، 260/2، وأسرار العربية صـ 143، 145، والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري تأليف د. محمد محيي الدين عبد الحميد 151/1 – دار الطلائع .

(6) مفاتيح الغيب 427/30 . وينظر : شرح عيون الإعراب صـ 99 .

ويحدِّثنا الدكتور/ صبحي الصالح عن لهجة تميم وأنها أكثر اتصالا بالعربية من غيرها فيقول: "إنَّ في المصادر القديمة والمعجمات اللغوية ما يشيرُ إلى أنَّ كثيرًا من قواعد اللهجة التميمية أقوى قياسًا من بعض اللهجات القرشية ، بل فيها ما يكاد الباحث يستنتج منه باطمئنان أنَّ لهجة تميم كانت في كثير من مفرداتها وتراكيبها هي التي ينطق بها غالبًا أبناء اللغة الواحدة[1].

ومع تأكيد العلماء على قوة قياستها وأنها أقوى قياسًا من لغة الحجاز يُصِرُّ الزَّجاج على رفض هذه القراءة والطعن فيها بقوله: "وزعم بعضهم أنَّ الرَّفْعُ في قولك : ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ أقوى الوجهين ، وهذا غلط ، لأنَّ كتاب الله ولغة الرسول – صلى الله عليه وسلم– أقوى الأشياء وأقوى اللغات ، ولغة بني تميم: ما هذا بشر، ولا تجوز القراءة بها إلا برواية صحيحة ، والدليل على ذلك إجماعهم على (ما هُنَّ أمهاتِهم) وما قرأ أحد : ما هُنَّ أمهاتُهم[2]".

ولكن ثبوت القراءة كما سبق عن طريق الرواية الصحيحة يدحض زعم الزجاج ويذهب به أدراج الرياح "فأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ؛ لأنَّ القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليهم[3]".

بالإضافة إلى أنَّه ليس هناك تعارض بين لغة الحجازيين في الإعمال والتميميين في الإهمال كما ذكر ابن جنِّي في "باب اختلاف اللغات وكلها حُجَّة" فكلاهما قابل للقياس، حيث يقول: "اعلم أنَّ سعة القياس تبيح لهم ذلك ، ولا تحظُره عليهم ؛ ألا ترى أنَّ لغة التميميين في ترك إعمال "ما" يقبلها القياس ، ولغة الحجاز في إعمالها كذلك ؛ لأنَّ لكل واحد من القومين ضربًا من القياس يؤخَذ به ، ويُخْلَد إلى مثله ، وليس لك أن تردَّ إحدى اللغتين بصاحبتها ؛ لأنَّها ليست أحق بذلك من رَسِيلتها ، لكن غاية مالَك في ذلك أن تتخيَّر إحداهما، فتقوِّيها على

---

(1) دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح ص72 ,73 – دار العلم للملايين – الطبعة الحادية عشرة 1379هـ – 1960م . وينظر : الخصائص 1/125 , 126 .

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 3 / 108 .

(3) النشر في القراءات العشر 1/11 .

أختها ، وتعتقد أنَّ أقوى القياسين أقبلُ لها ، وأشد أنسابها ، فأمَّا رد إحداهما بالأخرى فلا ، أولا ترى إلى قول النبي – ﷺ –: "نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف[1]".

إذًا فالمسألة كما ذكر ابن جنِّي في "باب تعارض السماع والقياس" مسألة كثرة الاستعمال ، حيث يقول: "وإن شذَّ الشيء في الاستعمال وقوي في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى ، وإن لم ينتهِ قياسه إلى ما انتهي إليه استعماله ، من ذلك اللغة التميميَّة في (ما) هي أقوى قياسًا من حيث كانت عندهم كـ (هل) كذلك ، إلا أنَّك إذا استعملت أنت شيئًا من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله ، وهو اللغة الحجازيَّة ، ألا ترى أنَّ القرآن بها نزل ، وأيضًا فمتى رابك في الحجازية رَيْب من تقديم خبر، أو نقض في النفي فزِعت إذ ذاك إلى التميميَّة ؛ فكأنَّك من الحجازية على حَرْد ، وإن كثرت في النظم والنثر [2].

ويزيد ابن جنِّي تلك المسألة وضوحًا ويؤكِّد عليها بقوله: "قيل: كيف تصرَّفت الحال فينبغي أن يعمل على الأكثر لا على الأقل ، وإن كان الأقل أقوى قياسًا ، ألا ترى إلى قوة قياس قول بني تميم في (ما) وأنَّها ينبغي أن تكون عاملة في أقوى القياسين عند سيبويه ، ومع ذا فأكثر المسموع عنهم إنَّما هو لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن، وذلك أننا بكلامهم ننطق ، فينبغي أن يكون على ما استكثروا منه يحمل ، هذا هو قياس مذهبهم وطريق اقتفائهم[3] ...".

المسألة الرابعة : السر في إهمال "ما" النافية

طرح ابن الأنباري هذا السؤال على نفسه وأجاب عليه بقوله: "فإن قيل: لِمَ لم تعمل على لغة بني تميم؟ قيل: لأنَّ الحرف إنَّما يعمل إذا كان مختصاً بالاسم كحرف الجر، أو بالفعل كحرف الجزم ، إذا كان يدخل على الاسم والفعل لم يعمل كحرف العطف، و"ما" تدخل على الاسم والفعل ، ألا ترى أنَّك تقول: "ما زيد قائم"، و "ما يقوم زيد" فتدخل عليهما ، فلما كانت غير مختصة ، وجب أن تكون غير عاملة ، فإن قيل: فلم دخلت الباء في خبرها نحو: "ما زيد بقائم"؟ قيل: لوجهين، أحدهما أنَّها أُدخلت توكيدًا للنفي ، والثاني: أن يقدر أنَّها جواب لِمن قال: "إن زيدًا لقائم" فأدخلت الباء في خبرها لتكون بازاء اللام في خبر إن[4]" .

---

(1) الخصائص 12/2 .
(2) السابق 125/1، 126 .
(3) السابق 2/ 262 .
(4) أسرار العربية صـ 144 , 145 .